

تفسير ابن كثير

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا^ط فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ^ط وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ^ق سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ

هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا ، وجعلوا الله جزءا من

خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون؛ ولهذا قال تعالى : (وجعلوا الله

مما ذرأ) أي : مما خلق وبرأ (من الحرث) أي : من الزروع والثمار (والأنعام نصيبا)

أي : جزءا وقسما ، (فقالوا هذا الله بزعمهم وهذا لشركائنا) . وقوله : (فما كان

لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان الله فهو يصل إلى شركائهم) قال علي بن أبي طلحة

، والعوفي ، عن ابن عباس ؛ أنه قال في تفسير هذه الآية : إن أعداء الله كانوا إذا حرثوا

حرثا ، أو كانت لهم ثمرة ، جعلوا الله منه جزءا وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو

ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه . وإن سقط منه شيء فيما سمي للصمد

ردوه إلى ما جعلوه للوثن . وإن سبقهم الماء الذي جعلوه للوثن . فسقى شيئا جعلوه الله ؛

جعلوا ذلك للوثن . وإن سقط شيء من الحرث والثمرة الذي جعلوه الله ، فاختلط بالذي

جعلوه للوثن ، قالوا : هذا فقير . ولم يردوه إلى ما جعلوه الله . وإن سبقهم الماء الذي جعلوه الله . فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن ، وكانوا يحرمون من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرمونه الله ، فقال الله عز وجل (وجعلوا الله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الآية . وهكذا قال مجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وغير واحد . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسيره : كل شيء جعلوه الله من ذبح يذبحونه ، لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة . وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ : (ساء ما يحكمون) أي : ساء ما يقسمون ، فإنهم أخطئوا أولا في القسمة ، فإن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وله الملك ، وكل شيء له وفي تصرفه وتحت قدرته ومشئته ، لا إله غيره ، ولا رب سواه . ثم لما قسموا فيما زعموا لم يحفظوا القسمة التي هي فاسدة ، بل جاروا فيها ، كما قال تعالى : (ويجعلون الله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون) [النحل : 57] ، وقال تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين) [الزخرف : 15] ، وقال تعالى : (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى) [النجم : 21 ، 22] .